


من أخطاء التربويين الغربيين

في حق المسلمين

د. حسان محمد حسان

ليس المقصود بهذه الدراسة الرد على اتهامات المشرقين  أو ما تسلل إلى الكتب التربوية العربية من أخطاء في حق الإسلام والمسلمين، بل المقصود مناقشة وتحليل بعض ما جاء في الكتب التربوية الأجنبية وتعرضها بالدس والبهس. والغمز واللمز للقرآن الكريم والرسول الأمين. عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

بطبيعة الحال لا تعنى هذه المقدمة كل الكتب التربوية الأجنبية. بل بعض المصادر الأساسية التي كُتبت بالإنجليزية. ولذلك فالمادة المعروضة هنا مجرد نماذج وأمثلة. بوقائع وأدلة. فالخسر مستحيل. والشمول غير ممكن.

وفي حدود بعض المصادر المتوافرة الآن أمام كاتب هذه السطور يمكن الإشارة إلى الأخطاء الخالية التالية : -

١ - زعمهم أن القرآن من صنع الرسول الكريم

إذا كان المؤلف الغربي غير مؤمن بالإسلام كرسالة سماوية. فمن المؤكد أنه سينظر إلى القرآن الكريم. على أنه مجرد كتاب بشري. من صنع فرد أو أفراد. فهم اجتهادات وانجهايات. إنجائيات وسلييات. وربما يكون جل اهتمامه مركزاً على السلييات !!

بطبيعة الحال هذه الفكرة راسخة عند مئات المؤلفين الغربيين، من أهل التربية ومن غير أهلها. والمهم لهذه الدراسة الآن عرض الفكرة السابقة، كما وردت في أحد الكتب التربوية الهامة التي تعلم منها واعتمد عليها آلاف من الاساتذة والطلاب منذ عام ١٩٣٦ وحتى الآن أي ما يقرب من نصف قرن!!

وهذا الكتاب اسمه أصول التربية الحديثة The Foundations of Modern Education?

ويركز على مناقشة الأصول والأبعاد التاريخية للمذاهب التربوية المعاصرة. وفي الفصل الذي عقده مؤلفاه ايلمر وايلدز وكينيث لوتش عن «الاتجاه الإسلامي في التربية» أكدوا ظلمًا وعدوانًا. وبدون دليل أو سند «أن القرآن كتاب مشتمل في جزء منه ممل، وفي جزء آخر رائع جميل، وعموما فهو خليط من عناصر يهودية ومسيحية وغيرهما من الديانات السابقة»^(١). وإذا كانت فكرة المؤلفين بهذه الجدية والقطعية فلا بد أن تبنى عليها نتائج جد خطيرة. وآثار غاية في الأهمية. وهذا ما ستوضحه النقطة التالية..

٢ - الخلط بين القرآن والحديث

إذا كان القرآن من تأليف البشر، فلا بأس أن يختلط بالحديث والأثر!! هذه مسلمة من بين المسلمات التي يبنى عليها وايلدز ولوتش كتابها بدون إعلان أو إفصاح.

من هنا يكرران في كتابها أن المسلمين اهتموا بالعلم والتعليم بحكم أن القرآن دفعهم إلى ذلك وحثهم عليه «فقرآن المسلمين ورد فيه أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. كما أنه يطالبهم بطلب العلم ولو في الصين، ويقول لهم إن العلماء ورثة الأنبياء»!!^(٢)

وهكذا لم يكلف المؤلفان - اللذان شغل أولها كرسى التربية بجامعة غرب ميشيجان، وشغل الثاني كرسيا في جامعة مونتاني - لم يكلفا أنفسهم قراءة القرآن الكريم، أو الاستعانة باختصاصيين للتمييز بين الآيات والأحاديث.

والغريب في الأمر أن كل الجامعات - غربية وغير غربية - توجه طلابها للموضوعية

والأمانة. والدقة وحسن النقل. ثم يرتكب أستاذان قطبان مثل هذا الخلط والتداعيل. والتجاوز والاضطراب.

والمؤكد أن مئات الكتب - تريبوية وغير تريبوية - حافلة بتحريفات وتشوهات يحكم أن مؤلفيها لا يعترفون بسياوية القرآن، ولا بأن رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإذا كان الإسلام ديناً موضوعياً مصنوعاً، فلا شك أنه انتشر بالقمع والإرهاب. والرمح والنشاب وهذا ما ستكشف عنه النقطة التالية :

٣ - انتشار الإسلام بالسيف

يقول وايلدز ولوتش : -

« بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام تولى زميله أبو بكر الخلافة وانطلق مقرراً نشر الإسلام بالسيف..

انطلق المسلمون ناشرين الإسلام بالسيف.. وفي مدة عشر سنوات خضعت الجزيرة العربية بكاملها. من هنا أصر أبو بكر - بإيمان يزحزح الجبال - على أن يعمل نفسه مسئولية إخضاع العالم كله للإسلام. ولو كان هناك عدد كبير من الرجال مثل أبي بكر لربما نجحت هذه المحاولة^(١٦٠).

واضح من النص السابق أن صاحبيه لم يكتفيا أنفسهم مراجعة التاريخ لمعرفة أخبار الغزوات والفتوحات في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ودوافعها ومبرراتها. كما أنها لم يتابعوا الأحداث بعد انتقاله للرفيق الأعلى، وما حدث خلال -سروب الردة، ومحاولات الفرس والروم للقضاء على الإسلام، وهو ما زال في مراحله الأولى. والذي لا شك فيه أن مئات المؤلفين الغربيين قدموا الإسلام بهذا التشويه. فحرف عليه الملايين بصورة عكسية، وتفسيرات مضللة.

ويبدو أن وايلدز ولوتش - وغيرهما - لم يقتنوا بما كتبه المعتدلون من الغربيين. يحكم أن أمور العقيدة تتأثر بوجهات النظر. وأساليب التنشئة والتطبيع، والتوجيه والتشكيل، وتتدخل

فيها رواسب شعورية ولا شعورية. ومن جراء كثير من الشهوات والعقد لن يستطيع هؤلاء المؤلفون تجاوز الاوهام والاكاذيب إلى الحقائق والاصول. وهذا كانت عبارة المفكر النمساوي «ليوبولد فاسي» الذي هداه الله إلى الإسلام واشهر باسم محمد أسد. أقول كانت عبارته صادقة وحارة. ثاقبة ونفاذة حين قال :

« إن روح الحروب الصليبية - في شكل مصغر على كل حال - ما زال يشكع فوق أوروبا. ولا تزال مدنياتها تنف من العالم الإسلامي موقعا يحمل آثارا واضحة لذلك الشبح المنسحب في القنال... » (١)

والحق أن عبارة محمد أسد تكشف عن مشاعر ووجدانات عاشها عندما كان مسيحيا. ثم كشف عنها عندما دخل في الإسلام عن قناعة ورضى. بدون سيف أو ارهاب. ومن ثم تسقط حجج الكثيرين في الماضي والحاضر. ولو كان الأمر أمر سيف وإرغام لما تفجرت كل هذه الضغائن. وانبجست كل هذه الإبداعات من الذين دخلوا في الإسلام بعد جيل وجيلين. وفي أقل من قرنين.

بطبيعة الحال. ليس الموقف الآن موقف رد أو دحض هذه الاتهامات. لأن الحقائق واضحة جلية للقارئ العربي ولا تحتاج إلى إيضاح وتفسير.

٥ - المسلمون مفسرون أكثر منهم مبدعين

أما ما في كتاب ويلدز ولوتش فهو تأكيد على أن العرب متمثلين أكثر منهم مبدعين للثقافة. بحيث لم يطوروا مدرسة فلسفية جديدة. بل اقتصروا على تمثيل الفلسفة اليونانية وشرحها. في المشرق والمغرب الإسلامي تعرف أهل الإسلام على فلسفة أرسطو. فترجموها وشرحوها. (٢)

وكتب هذه السطور. وأى باحث منصف آخر لا ينكر دور الفلسفة اليونانية في تزويد الفكر الإسلامي وراثته بالعديد من الأفكار والمقولات. والاجتهادات والنظريات. ولا شك أن القارئ للكنتي والفارابي. وابن سينا وابن رشد يلمح آثار الأرسطية واضحة جلية. إلا أن

ذلك لا ينبغي أن يحجب الضوء عن مفكرين مسلمين كان لهم فضل الريادة والابتكار، والابداع والازدهار. ومن أهم هؤلاء المفكرين الفقهاء والمحدثون، وأصحاب العلوم الطبيعية والطبية والرياضية والفلكية، والبحرية والجغرافية، فهؤلاء العلماء والباحثون قدموا علوما جديدة وفروعا مستحدثة ليس لليونان فضل سبق فيها، أو عمق إضافة إليها.

وخطأ الكبير الذي يقع فيه المفكرون الأجانب، وقطاع كبير من المسلمين المشتغلين بشئون « الفلسفة الإسلامية » أنهم يركزون على قطاع واحد من المفكرين المسلمين.

فكل التركيز والاهتمام على الكندي والفارابي، وابن سينا وابن رشد، وابن باجه، وابن طفيل، وابن مسكويه واخوان الصفا وكلهم جميعا من الذين اعتلوا على الفكر اليوناني، وعولوا عليه. هذا فالفارابي هم يشعر أنه يقرأ فلسفة يونانية مترجمة إلى العربية!!^(٧)

هذا فالأجدر والأفضل أن نسلط الضوء على قطاع آخر من المفكرين المسلمين هم خصائص الأصالة والخيال، والاستقلال والتحرر بدون أرسطية وأفلاطونية. وفي ذلك يقول عميد أسبق لكلية الشريعة بجامعة الأزهر : -

« ان الذين يعنون بمعرفة الروح والتفكير الإسلامي في مهدهما، عليهم أن يدرسوا ذلك في الفقه الإسلامي الذي لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يدخله دخيل في الفكر أو الطريقة... »^(٨)

وإذا كان النص السابق من أصحاب الدراسات الفقهية لشيخنا الدكتور علي حسن عبدالقادر، فالطريف في الأمر أن نفس الفكرة يتادى بها بعض المتخصصين في الفلسفة الإسلامية وهذا ما أكدته الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه الصادر منذ أربعين عاما^(٩)، وما أكدته من بعده الدكتور إبراهيم يومي مذكور، والدكتور علي سامي النشار وغيرهما.. من هنا جاء قول أولها : -

« لا يمكن أن نأخذ فكرة كاملة عن التفكير الفلسفي في الإسلام إن قصرنا بحثنا على ما كتبه الفلاسفة وحدهم، بل لا بد أن نغده إلى بعض الدراسات العلمية، والبحوث الكلامية والصوفية، ونربطه بشيء من تاريخ التشريع وأصول الفقه... »^(١٠)

وجاء قول الآخر في رسالته للهاجستير منذ أربعين عاما : -

« حاولت الكشف عن نتائج العبقورية الإسلامية في التوصل إلى المنهج لا في كتب من يدعون فلاسفة الإسلام - وهم دوائر منفصلة منعزلة عن تيار الفكر الإسلامي العام - بل في كتب ممثلي الإسلام الحقيقيين من فقهاء وأصوليين ومتكلمين وغيرهم من مفكرين مسلمين.. »^(١١)

لعله يتأكد من ذلك كله أن الفكر الإسلامي الأصيل والمتميز لا بد من البحث عنه في جوانب أخرى من الحضارة الإسلامية. غير الجوانب المشهورة باسم « الفلسفة الإسلامية » وبذلك نكتشف المنبع الثر. والإبداع الأصيل. والتميز الواضح من غير « فتنة يونانية » وترجمات سريانية!! ولا يقتصر الأمر على الفقه والفقهاء، والعلوم التجريبية والرياضية، والطبية والفلكية، بل يمتد إلى النحو واللغة، والأدب والأدباء. ومن هنا كانت المناقشات والمساجلات الحية بين النحاة المسلمين والمترجمين من الناصرة واليعاقبة..

وهذا ما ستناقشه النقطة التالية : -

٥ - الترجمة السب الأول لهضة المسلمين ترويا

في الجزء السادس من دائرة المعارف البريطانية مقالة مطولة تقع في اثنتين وتسعين صفحة عن « تاريخ التربة » خصص للتربة اليونانية خمس صفحات. وللتربة الإسلامية صفحة ونصف..

ولا بد أولاً من الاعتراف بأن هذه السطور القليلة عن التربة الإسلامية مكتوبة برصانة وعمق، توضح ما فيها من ثراء وتنوع. وعطاء وتجدد. وبالرغم من ذلك بدأت دائرة المعارف البريطانية مقالها بقوفا : -

« ان النقل عن الثقافة اليونانية والعبرية واليونانية. والهندية والزرادشتية، كان العامل الأول لهضة المسلمين ترويا وتعليميا.. »^(١٢)

واستغرق هذا المعنى - بتفاصيله - سدس ما كتبه دائرة المعارف البريطانية عن تاريخ التربة الإسلامية!!

وأى باحث مسلم لا يستطيع اغفال فضل الترجمة، أو إهمال دورها إلا أن ذلك لا يُلغى الإبداع، ولا يُلغى الإضافة.

صحيح أن الترجمة كانت مهمة مؤثرة. فعالة محسنة. قاذفة منشطة إلا أن ذلك مرتبط بالإحياء والبعث، والنهضة والوحدة التي أظلت عشرات الشعوب الإسلامية من فرس ورومان، وترك وسودان. وجركس وديلم. وأرمن وأكراد. وكرج وكلدان. وأشوريين وعرب. وهند وسند. وجرجان وألبان..

فكل هذه الشعوب - وغيرها - نُفِخَ فيها من روح الإسلام فأعيدت صياغة شخصياتها وثقافتها من جديد ولهذا اندفعت في حركة الترجمة والنقل. ثم الإضافة والإفاضة، والابتكار والإبداع. والتميز والاستقلال فكراً وروحاً. أدباً وثقافة. علماً وتجربياً، بناءً وتشيداً، وإلا لماذا لم تبدع هذه الأمم قبل الإسلام نفس إبداعها بعد الإسلام؟
لماذا لم تتفجر كل هذه الطاقات وتتألق كل هذه المعارف إلا بعد شروق شمس الإسلام؟
لا بد أن الثقة بالإسلام أتاحت النقل لحضارة الإسلام. ولا بد أن الإقلاع بالإسلام أتاح الإبداع في حضارة الإسلام.

وعلى هذا يمكن القول بأن الترجمة - بالاصطلاح الكيميائي - كانت عاملاً مساعداً Catalyst أسهم في تحقيق التفاعل دون أن يكون بمفرده السبب في التفاعل. بل لا بد من توافر ظروف وشروط. أسس وقواعد..

إذن فضل الترجمة لا ينكر. أما التركيز عليها فحسب والانطلاق منها أساساً يعطى ظلالاً خاصة. وشبهة معيبة حول ما كتبه دائرة المعارف البريطانية وغيرها من عبون الفكر العربي. من هنا قال أحد كتابنا المعاصرين : -

« إن أشد مبرزى أهمية الثقافة الإغريقية هم الأوروبيون. أما أن للثقافة الإغريقية أثراً في الثقافة العربية. فهو أمر لا يمكن إنكاره. بل ويعتبر به. غير أن الأسئلة تثار حول مكانة هذه الثقافة الإغريقية في بناء الفكر العربي.

فن البهديات أن الفكر العربي في عهد ازدهاره ركز اهتمامه على الجوانب الدينية

والإنسانية. علم الحديث والقرآن. وعلوم اللغة والنحو والأدب. ثم إن المعرفة المتصلة بالمجتمع وتطوراتها كالفقه وما يتصل بالسياسة والنظم والاجتماع كانت كلها عربية صرفة ولم يقل أحد إلا القليل من المترجمين. إنها اعتمدت على الإغريق..

وتتجلى المبالغة في أثر اليونان من ملاحظة واضحة هي أن الحركة الفكرية في صدر الإسلام تركزت في مدن لم يكن للثقافة اليونانية فيها أثر. ثم إن الحركة نمت وتبلورت انماها هنا قبل أن تبدأ حركة الترجمة الإغريقية..^(١٢)

وفي النقطة الرابعة السابقة سبقت الإشارة إلى المناقشة بين النحويين والمترجمين وتكفي إشارة خاطفة لحوار ساخن دار بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس..

يقول أبو سعيد السيرافي في رده على متى : -

« إذا سلمنا أن الترجمة صدقت وما كذبت. وقومت وما حرفت. ووزنت وما جزفت. وأنها ما التأت ولا حافت. ولا نقصت ولا زادت. ولا قدمت ولا أخرت. ولا أخلت بمعنى الخاص والعام. ولا بأخص الخاص ولا بأعم العام. فكيف نسلم بأن لا حجة إلا عقول يونان. ولا برهان إلا ما وضعوه. ولا حقيقة إلا ما أبرزوه؟ »^(١٣)

مثل هذه المناقشات - وغيرها - تكشف على أن الكثير من أعلام المسلمين ناقشوا الترجمة والمترجمين مناقشة علمية موضوعية. مركزين على المخاطر والمخاوف. وفي نفس الوقت أضافوا وأضافوا في علوم وفنون لم يكن للترجمة فيها نصيب وافر. أو جهد واضح.

ويكفي القول أن تعليم المسلمين انطلق وبدأ من تعميم القرآن الكريم. وحفظ ورواية الشعر العربي. والتفقه في أمور العقيدة والشرعية. العبادات والمعاملات. وكل هذه أمور بدأت في مسجد ومكتب ليس فيها للترجمة نصيب. بل ليس إليها للمترجمين دخول!!

٦ - الإسلام حال من الفلسفة التربوية

يكاد لا يوجد دارس لفلسفة وتاريخ التربية الغربية من غير معرفة وثيقة بنوع برويكر

John S. Prubacher الذي تنقل بين أمهات الجامعات الأمريكية : يعلم ويدرس ، يناقش ويحلل ، يشرف ويوجه . يؤلف ويعتق .

وبالفعل استطاع برويكر نشر دراسات مرموقة باللغة الإنجليزية غطى فيها فلسفات التربية قديماً وحديثاً ، وحلل فيها تاريخ التربية عالمياً وغرباً .. وكل ذلك لا مشاحة فيه ، ولا اختلاف حوله ..

إلا ان النقطة الجديرة بالمناقشة ، والمعينة بالتحليل وردت في كتابه « فلسفات حديثة للتربية » عندما عالج الفيلسوف الواقعية كتعبير عن فلسفة الرومان مستجاً أن كلا من الكاثوليكية والبروتستانتية ليس لها فلسفة تربية ..

وكل ذلك أمر لا بعيننا الآن . وليس موضع البحث فوضع البحث النقطة التالية ..
لقد استجج برويكر من المقدمة السابقة : -

« أن سائر الأديان كالأسلام والبودية ليس لها أى فلسفة تربية . بل ان معتنقى كل منها لم يوجهوا عناية تذكر للتأليف التربوي . بل وجهوا معظم اهتمامهم لشرح ديانتهم . ووصف طريق النجاة .. » (١٥)

ولتأيد وجهة نظره استشهد برويكر بدراسة عن الإسلام ..

والغريب أنه وقع في تناقض شكل وموضوعي : -

فلقد استشهد بدراسة مفكرنا القسطنطيني الراحل الدكتور عبداللطيف ضياوى (١٦) والتي

تحمل عنوان : Philosophy of Muslim Education

وكان برويكر بذلك استشهد بدراسة تحمل عنوان « فلسفة التربية الإسلامية » لينكر وجود فلسفة للتربية الإسلامية !!

وبصرف النظر عن القروض والافتراضات . والظنون والاحتمالات فإن برويكر وقع في خطأ منطقي سهل وبسير : -

فلقد وضع مقدمة صغرى خاصة بالبروتستانتية والكاثوليكية ..

ثم بنى عليها مقدمة كبرى خاصة بكل الديانات ..

ثم استج منها نتيجة تتعلق بالإسلام وغيره من الديانات !!

بطبيعة الحال هذه الدراسة الموجزة لا تحاكم « برويكر » صورياً أو وضعياً ولكنها تكشف بإيجاز وتكثيف على أن بعض العالقة الأجانب يرتكبون أخطاء فادحة بدون تعقيب أو رد.. فلقد عمم نتيجة جزئية على كلية. فامتد من دياناته إلى سائر الأديان. ومثل هذا التعميم ينطبق عليه وصف الشيخ الدكتور « صبحي الصالح » : -

« أن المفكرين الأجانب كما يحلوا هم يخصصون التعميم. ويعمسون التخصيص » (١٧)

هذا فيما يتعلق بالتناقض الشكلي الصوري الذي وقع فيه برويكر. أما فيما يتعلق بالخطأ الموضوعي الفني داخل دعوته. فكتاب هذه السطور ليس بحاجة إلى سرد قائمة طويلة بالكتب والرسائل التي صنفها المفكرون والمعلمون المسلمون في شؤون التربية والتعليم. والتأديب والتهديب، للصغار والياقين. والعامّة والأمراء ويكفي أن أصحاب الحوانيت في قرطبة كانوا يرفضون تشغل الصبيان من غير إئذان للقراءة والكتابة. في حين أنهم سيعملون في حرف لا نحتاج إلى قراءة وكتابة !!

مثل هذه الحصاره يستحيل أنها لم تول التربية عناية تذكر وللتأليف التربوي اهتماما واضحا كما زعم برويكر.

وللمرة الثانية هذه الدراسة لا تحاكم كل فكر برويكر أو كل إنتاجه. فللرجل بحوثه الثرة. وجهوده الفنية في ميدان التربية فلسفة وتاريخاً. إلا أن المقصود أنه وغيره من الأساطين يرتكبون أخطاء فادحة. مقصودة وغير مقصودة عند معالجة قضايا التربية الإسلامية. ليس عن جهل أو تقصير. بل عن عداء قديم وعقد لا شعورية تكبل الحظي. ونعثر التفسير.

٧ - تناقض الأهداف المدنية والدينية في مؤسسات التعليم

أكدت دائرة المعارف البريطانية أن هناك صراعاً محتملاً بين الأهداف الدينية والمدنية داخل مؤسسات التعليم الإسلامي. وظل هذا الصراع ماثلاً حاداً لم يمكن فضه. أو التخفيف من

حدثه^(١٨)، إلا أن الدائرة لم توضح لنا نوع هذا الصراع ومداه، وأسبابه ودوافعه، وآثاره ونتائجه.

وفي تقدير كاتب هذه السطور أن التفسير السابق يحمل نوعاً من الإسقاط النفسي : -
فالمفكر الغربي ينفذ انطباعاته عن عصوره الوسطى المنظمة ليسرل تاريخنا بحرق سوداء،
وسحب داكنة..

فالمفكر الغربي - صريح التركيز حول الذات - يتصور أنه عندما كان يحيم الظلام على أوروبا،
فلا بد أنه حيم على العالم كله!! وقيل من المفكرين الغربيين استطاع تجاوز هذه الهوة الثقافية،
التي تسمى اصطلاحاً بالعشى الثقافي Cultural Blindness

صحيح أن بعضهم ينظر إلينا بنظرة أبوية معقدة بالرحمة والعدل، والشفقة والحسرة إلا أن
هذه النظرة قد تحمل بذور طمع أو رغبة تسلط : -

بذور طمع في مستعمرات قديمة تندفق منها الآن الخيرات وتنتجر الموارد..

ورغبة تسلط للسيطرة على مناطق نفوذ جديدة بالسيطرة الثقافية والغزو الفكري، بدلاً من
الاحتلال العسكري والتسلط السياسي..

وحتى إذا كانت نظرة المفكر الغربي أبوية خالصة مجردة عن الفوى والمصلحة، فإنها تحمل
رغبة كل أب في التسلط والوصاية!!

وفي تقديرى أن بعض الكتابات الغربية المنصعة الهادئة تحمل في تضاعيفها وصايا الأبوة،
وشعور أى أب بأن ابنه عاجز عن الرأي السديد والفرار الرشيد!!

هذه المشاعر يحس بها - أحياناً - الذي يتعامل مع المفكرين والخبراء الغربيين في ميادين
الحياة المختلفة، فهم أخلصوا وآمنوا بقضائياتنا إلا أنه يظل في داخلهم إحساس مقيم وشعور
غامض بأننا ما زلنا في مرحلة « المراهقة الفكرية » ولا بد لنا من مرشد وموجه.. ولا بد من
الاعتراف - بدون حجل أو تردد - أننا كثيراً ما نشجع الغربيين على تدعيم هذه الأفكار سواء
بقصورتنا في التخبط والإنجاز، أو بمشاعر النفس التي تسربت وترسبت في شخصيتنا القردية
والقومية..

بجمل القول أن الفكر الغربي - غالباً - ما ينظر إلى الشرق ونجرته، الإسلام ومعجزته من خلال نظراته الخاصة، وبيته التاريخية. من هنا قيل - بحق - أن ما يكتبه المسلم عن الإسلام لا بد أن يكون فهمه له وتعبيره عنه أقرب للحقيقة وأدق في الوصف من كتابات غير المسلمين^(١٩) حتى مما حاولوا التجرد والإنصاف.

ولا يعني هذا التحليل الجحود والتكران، فبعض المفكرين الأجانب مهروا في عندهم وأنفقوا في صنعهم وكان لهم فضل ريادة واكتشاف الكثير من كنوز ثقافتنا المعنوية والمادية. لكن المقصود فقط التأكيد على ندرة وجود مفكر غربي تمثل العالم الإسلامي تمثلاً صحيحاً بعيداً عن عواطف الشفقة والتحسر. رغبة السيد والسيطرة. ناهيك عن أجهزة المخابرات وأروقة العمل السري..

٨ - منع تعليم البنات سورة يوسف !!

في كتاب هيوث دن Heyworth Dunne « مقدمة لتاريخ الزينة في مصر الحديثة » إشارة عن تعليم البنات في مصر قبل القرن الثامن عشر. وقد وردت فيها الفقرة التالية : - « بالإضافة إلى التعليم التقليدي للصلاة. فإن الفتيات الصغار يعلمن بالسماع سورا من القرآن الكريم. إلا أن التقاليد تمنع تعليمهن بعض السور وبخاصة سورة يوسف .. »^(٢٠) ونظراً لغربة هذه الفقرة فقد حاولت تتبع جذورها وأصولها فلم أجدها أثراً في كتب تاريخ التعليم.. ثم سألت بعض الثقات المختصين بالعلوم الشرعية فلم يؤكدوا أحداً. بل نفاها الجميع. والدليل على ذلك أن آلاف وملايين من الفتيات - في مصر وغيرها - يحفظن القرآن الكريم بكامله بدون حذف أو منع..

ورغم أن هيوث دن « قضى سنوات طويلة من عمره في أرجاء العالم الإسلامي وقرأ وبحث. وقابل وناقش الكثيرين إلا أنه لم يوضح لنا المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة مما يسهل طريقة مراجعتها والتأكد من صحتها أو خطئها. والذين تعاملوا مباشرة مع هيوث دن في الأوساط العربية. والجامعات البريطانية لم ينكروا جهده وعمقه. إلا أنهم لاحظوا فيه المكر

والدهاء. والهو والفرس. وفي حدود معلوماني أعلن هيوارث دن إسلامه وتسمى باسم « جمال الدين » فجزاه الله كل الخير. إلا أن طول عمله مع أجهزة المخابرات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط عمقت في ماضيه بعض المصالح والأغراض بعيدا عن دائرة العلم والبحث.

كانت هذه الأخطاء السابقة مجرد نماذج وأمثلة أخذتها من بين أربعة مصادر أساسية في تاريخ التربية والتعليم. كتبت باللغة الإنجليزية وتعلم عليها مئات وآلاف من الأساتذة والطلاب:.

والمؤكد أن هناك كتباً أخرى حافلة بأخطاء أفدح وانهايات أشد. من هنا تأتي ضرورة أن نقدم للعالم كله دائرة معارف تمثل العالم الإسلامي بأقطاره وشعوبه. أغليانيته وأقلياته بحيث نضم أحدث المعلومات. وأدق التفاصيل بعلمية وأمانة. ونزاهة وموضوعية بحيث يجد القارئ الأجنبي مصدراً موثقاً به يعتمد عليه ويرجع إليه في لغات عالمية متعددة. وبأقلام مسلمين أتقنوا فروعهم وتمسكوا بدينهم.

المراجع

- (١) Elmer Wilds & Kenneth Lottich. The Foundations of Modern Education. Third Edition. Holt, Rinehart and Winston Inc. U.S.A. 1962, p. 144.
- (٢) Ibid. p. 155.
- (٣) Ibid. p. 145.
- (٤) محمد أسد. الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة عمر فروخ. دار العلم للملايين. الطبعة الثانية ١٩٧١ ص ٦١.
- (٥) Elmer Wilds & Kenneth Lottich, Op. Cit. p. 147.
- (٦) Ibid. p. 144.
- (٧) هذه الفكرة أكدتها كثير من المقدمات من ذلك :
- النقص في إخبار العلماء بأخبار الحكماء..
- والشهرة في المال والتمل..
- وحسن صديق كان في أئمة العلوم..
- وإن حلدون في المقدمة..
وعبر ذلك كثير.

- (٨) علي حسن عبدالقادر. نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي. الطبعة الثالثة. دار الكتب الحديثة. القاهرة. ١٩٦٥.
ص ٢.
- (٩) مصطفى عبدالرزاق. نهج تاريخ الفلسفة الإسلامية. الطبعة الثانية. مطبعة خة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٥٩.
- (١٠) إبراهيم بيومي مذكور. في الفلسفة الإسلامية - مسح وتطبيق. الجزء الأول. الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٧٦. ص ٢٥.
- (١١) علي سامي الشار. منابع البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المسح العلمي في العالم الإسلامي. الطبعة الثانية. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٥. ص
- (١٢) Encyclopaedia Britannica, History of Education, Vol. 6, 332.
- (١٣) صالح أحمد العل. مشاكل تطلب الحل في إعادة كتابة التاريخ العربي. مجلة الباحث. العدد الثالث. السنة الثالثة. بيروت. ص ٣١ - ٣٥.
- (١٤) أبو حيان التوحيدى. الأمتاع والمؤانسة. تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزبي. الجزء الأول. المكتبة العصرية. بيروت. ص ١١٢.
- (١٥) John S. Prubacher, Modern Philosophies of Education, Fourth Edition, McGraw Hill, N.Y. 1969, p. 353.
- (١٦) الدكتور عبداللطيف طنبأوى - رحمه الله - من الخ مفكرينا الفلسطينيين الذين انماوا خلال الثلاثين عاما الماضية في الجامعات البريطانية مع زبارة للجامعات الأمريكية. وتخصص في شئون التربية والتعليم مع ارتباط وثيق بالثقافة الإسلامية والمصاهرة العربية. وتولى مند ما يفر من عشرين إثر صدمة سيادة في بريطانيا. وقد أسهم في تحسين الدراسات التربوية الإسلامية في الجامعات التي عمل بها. والشرف ووجه عشرات الباحثين في رسائلهم وثناء كتابة بحوثهم.
- (١٧) لويس حردية وجورج شحاته قناتى. فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والسبعية. ترجمة صحنى الصالح وعريد حرد. الجزء الثالث. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٦٩. تعليقات صحنى الصالح في نهاية الجزء الثالث. ص ٣٢٨.
- (١٨) Encyclopaedia Britannica, Op. Cit. p. 333.
- (١٩) محمد صحنى حيان المستشرقون المعاصرون في حرية النقد الذاتي. مجلة العربي. نوفمبر ١٩٧٩. العدد ٢٥٢. ص ٣٩.
- (٢٠) I. Heyworth Dunne, An Introduction to the History of Education in Modern Egypt. Frank Cass & Co. Ltd. London, 1968, p. 14.



ملخص الدراسة

اختار الكاتب أربعة مراجع إنجليزية لكتاب تربويين مرموقين واكتشف بين ثنايا كتبهم عدة أخطاء تصل مباشرة بالإسلام والمسلمين وهذه الأخطاء يمكن احتصارها ما يأتي : -
ان القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام، والخطب بين القرآن والحديث، وانتشار الإسلام بالسيف، والمسلمون مقسرون أكثر منهم مبدعين، وأن الترجمة هي السبب الأول في هزيمتهم نعيميا، وان الإسلام حال من الفلسفة التربوية، وتناقض الأهداف داخل مؤسسات التعليم الإسلامي، وأخيرا مع تعلم الباث سورة يوسف!!
وحاول الباحث الكشف عن بعض الاسباب النفسية والتاريخية التي تحيط بالكاتب الغربي عند كتابته في شؤون المسلمين مما يدفعه لارتكاب أخطاء فادحة. بقصد ومن غير قصد.



● Summary of the Study ●

The Author Dr. Hassan M. Hassan - Assistant Professor of Education at Ain Shams University selected four English References in the History of Education. The first was "the Foundations of Modern Education" by Wilds and Lottic. The second was the "Encyclopaedia Britannica" article about History of Education. The third was "Modern Philosophies of Education" by John Probacher, and the last one was "An Introduction to the History of Education in Modern Egypt" by Heyworth Dunne.

Dr. Hassan picked up English vital mistakes in these books directly related to Islam and Moslems. Finally, he suggested Moslem Encyclopaedia explain our point of view objectively and deeply.

أخي المواطن .. ان المكاتبات الرسمية، والمكاتبات
الحكومية والأوراق التي تعمل مضططبات مهما كانت
نوعيتها .. انها بعد فترة من الزمن تعتبر وناثق يمكن
الاعتماد عليها كأحد العناصر الهامة لكتابة التاريخ ..
فبادر أخي الكريم لتقديم ما بحوزتك للدارة ..
« مع تحيات دارة الملك عبد العزيز »